الحرير في أنطاكية اليوم

ريم الأطرش

باحثة ـ سورية

الملابس الحريرية التي تشترك فيها سورية البلد الأم وأنطاكية واسكندرونة:

حطاطة المسايخة، المسلوبة، الزنار الطرابلسي، ميزر الحمّام أو البشتمال، المشلح، السراويل الداخلية القصيرة وبقجة العروس.

مكانة أنطاكية الهامة على طريق الحرير: على طريق الحرير، في العصر الهلنستي السلوقي ثم في العصر الروماني أضحت أنطاكية نهاية المطاف، حيث تنتهي إليها طرق القوافل القادمة من الخليج العربي وحضرموت وعدن عن طريق الوسطاء الأنباط ثم التدمريين.

تاريخ أنطاكية: بنيت مدينة أنطاكية في القرن الثالث قبل الميلاد، وخلال الإنتداب الفرنسي على سورية، أعطى الفرنسيون منطقة أنطاكية واسكندرونة للأتراك، ودعيت بولاية هاتاي؛ وهكذا تم سلخها عن الوطن الأم سورية عام ١٩٣٩.

إنتشار الحرير في أنطاكية: أما صناعة الحرير فقد إنتقلت إلى الشرق الأوسط من الصين في القرن السادس ميلادي. وفي زمن الدولة المعنية في القرن السابع عشر انتشر دود الحرير بكثرة في لبنان ومنطقة الجبال الغربية الساحلية السورية والمنطقة الممتدة على ضفاف نهر العاصي، حتى أنطاكية. إشتهرت أنطاكية واسكندرونة بتصدير الشرانق إلى فرنسة، وبصناعة الحرائر الناعمة والمناديل الحريرية. كما إشتهر الأرمن في جبل موسى في الأمانوس بالحرائر المطرزة باليد. تربى دودة القز في سورية وأنطاكية الآن في موسمين: الأول ربيعي والثاني خريفي.

العملية البدائية في حل خيوط الحرير من الشرانق: بعد قطاف الشرانق، لا بد أن تجري عليها عمليات حل خيوط الحرير وتحضيرها على شكل شلل. إنتشرت في الساحل السوري وحتى أنطاكية عدة مخانق أو ورشات لتجفيف الشرانق بهدف قتل الحشرة داخل الشرنقة. بالنسبة لمدينة أنطاكية كانت المخانق كلها تتجمع في السويدية وكان هناك عدة مخانق لآل خوري وعكر وورد وصراف.

صناعة الحرير الحالية في أنطاكية: أما الأقمشة الحريرية التي تصنع اليوم في أنطاكية فهي عبارة عن أقمشة ثخينة تصلح لصنع البزات (بدلات) للرجال والسيدات وهناك أقمشة ناعمة ورقيقة تصلح للقمصان.

مراحل تصنيع خيط الحرير: ١-الفتال -٢-المسدي، ٣-المزيّك -٤-الملقي.

الرسم على الحرير: في إسكندرونة، لم يبق أي أثر لصناعة الحرير، عدا الرسم اليدوي على الحرير الطبيعي.

أهمية زراعة التوت في هذه المنطقة: أفضل شجرة لتغذية دودة الحرير هي شجرة التوت الذكر أو التي تحمل التوت الأبيض، وإقتصرت زراعتها فقط على المناطق التي ما زالت تعتني بتربية دودة الحرير. إلا أن مديرية الزراعة في أنطاكية الآن تحاول أن تعتني بدودة الحرير وبتربيتها وبتشجيع الفلاح على زراعة أشجار التوت بكثافة في تلك المنطقة. ويتم في أنطاكية تسويق المنتجات الحريرية داخلياً في تركية بالبريد.



تمهيد

في أثناء زيارتي لبعض القرى التي كان أهلها يربون دودة القز، كانت الكلمة السحرية التي ألفظها هي «دودة الحرير» وبعد أن يسمع أهالي هذه القرى تلك الكلمة السحرية، كانوا يبدؤون بالحديث عن ذكرياتهم في تربية دودة الحرير وكيف كانوا يهتمون بها وهم أطفال ويرون أجدادهم وجداتهم يفرمون للدودة ورق التوت. كنت طبعاً لا أشارك في الحديث، ولكنني أكتفي بالإنصات إلى هؤلاء الناس الذين يتحدثون ببهجة وفرح عن هذه المرحلة من حياتهم وعن تلك اللحظات السعيدة فيها. ويشهد على ذلك بريق عيونهم الساحر في أثناء هذا الحديث. وتشهد على ذلك أيضاً رواية (بقايا صور) للكاتب السوري حنا مينة الذي نشأ في السويدية (أنطاكية) وتحدث في روايته تلك عن علاقة تربية الحرير بحياة الناس وبمواسمهم.

من الملاحظات التي لفتت نظري هي أن معظم الذين يصنعون المنسوجات الحريرية لا يتمتعون بارتدائها بسبب فقرهم. فعمال النول هم أفقر من يعمل في صناعة الحرير وبالتالي هم غير قادرين على شراء الملبوسات الحريرية لغلاء ثمنها.

كما أن معظم من يعمل بصناعة الحرير الطبيعي وصف الحرير بأنه (روح) ويجب التعامل معه بحنان ورقة؛ (روح) لأنه نتاج دودة من مخلوقات الله وبالتالي فدودة الحرير هي (روح) خلقت في هذا العالم.

ومن الأمور التي لفتت نظري أيضاً هي تحسر أهل أنطاكية بشكل خاص على الأيام الخوالي التي كانت فيها المنتجات الحريرية السورية التقليدية تصل بسهولة إلى أنطاكية وترتديها النساء ويرتديها الرجال. وهم يذكرون الملابس التقليدية الحريرية كالحطاطات المصنوعة في حمص والمسلوبة في مصياف، والتي ما زالت نساؤنا في سورية يضعنها على رؤوسهن وحرمت نساء أنطاكية في ظل ظروف انسلاخها عن الوطن الأم من ارتدائها.

وسأذكر بعض هذه الملابس التقليدية التي تشترك فيها سورية البلد الأم وأنطاكية وإسكندرونة:

- حطاطة المسايخة من الحرير الطبيعي والقصب؛ وتلبسها النساء في قرى اللاذقية وقرى أنطاكية (جنيدو) والقلمون وحلب.
- المسلوبة: وهي من الحرير الطبيعي المغزول وتضعها النساء على الرأس فوق العصبة أو الحطاطة؛ وتلبسها النساء في قرى اللاذقية وبانياس والقدموس وكانت ترتديها في أنطاكية وريفها.
- الزنار الطرابلسي: وهو من الحرير الطبيعي الملوّن، وكانت النساء وما زالت ترتديه في طرابلس الشام وقرى حلب وأنطاكية مثل الحربية[١].
- ميزر الحمّام أو البشتمال: وهو من الحرير الطبيعي الدراقلي حيث أن خيوط السدى كانت تصبغ بعدة ألوان وذلك بطريقة التربيط وهو للنساء وتعتبر فوطة لحمّام السوق. كان منتشراً في دمشق وحماة وحلب وأنطاكية.



الصورة ١: المسلوبة



الصورة ٢: ميزر الحمّام.

- المشلح: وهو من الحرير الطبيعي الخالص واشتهرت به حمص وحماه وأنطاكية، ويشبه العباءة في شكله[٢].
- السراويل الداخلية القصيرة المصنوعة من الحرير الطبيعي والمطرزة في جوانبها. وكانت متواجدة بكثرة في أنطاكية وإسكندرونة بالإضافة إلى المناديل الحريرية والسراويل والقنابيز بأنواعها وبقجة العروس وأغراضها وملاءات الأسرّة التي ما زالت تحاك في أنطاكية من الحرير الطبيعي والقطن[٢].

الصورة ٤: المشلح.



الصورة ٥: سروال قصير



وانتقلت تجارة الحرير من شعوب الشرق الأقصى إلى الرومان ثم إلى العرب في العصور الوسطى وحتى الحروب الصليبية في القرنين ١٢ و١٣ . كان التجار السوريون ينطلقون من أنطاكية، عاصمة سورية الرومانية على المجرى الأسفل لنهر العاصي، باتجاه الشرق مارين بحلب ثم يجتازون الفرات عند جرابلس (هيرابوليس) ويعبرون أراضي الجزيرة باتجاه إيران مارين بساحل بحر قزوين ثم إلى شرق آسيا؛ ليلتقي التجار المشرقيون بالصينيين وهناك يتبادلون البضائع وأهمها الحرير من الصين. أما الطريق البرية من الصين إلى الغرب فكانت تنطلق من شمال الصين إلى آسيا الوسطى وأحد فروعها يتجه إلى دورا أوروبس (الصالحية على الفرات) ثم إلى تدمر وأنطاكية.

في العصر الهلنستي والسلوقي ثم في العصر الروماني أضحت أنطاكية نهاية المطاف، حيث تنتهي إليها طرق القوافل القادمة من الخليج العربي وحضرموت وعدن عن طريق الوسطاء الأنباط ثم التدمريين. وفي العصر الهلنستي استطاعت تدمر أن تستجلب إليها خطوط القوافل لتكون محطة بين الفرات من جهة وحمص وأنطاكية من جهة أخرى.

تاريخ أنطاكية:

ولنلق نظرة سريعة على تاريخ أنطاكية، هذه المدينة الهامة على طريق الحرير.

بنيت مدينة أنطاكية في القرن الثالث قبل الميلاد، وقد بناها سلوقس أحد قادة الإسكندر الأكبر وسمّاها أنطيوخوس تخليداً لاسم أبيه. تتالى على حكم أنطاكية السلوقيون واليونان والرومان والبيزنطيون ثم حكمها العرب بين عامي ٦٣٧ و٩٦٧ ميلادي. عادت بعد ذلك إلى حكم البيزنطيين ثم الأتراك فالصليبيين في العصور الوسطى. وفي عام ١٢٦٨ استخلص الملك الظاهر بيبرس أنطاكية من يد الصليبيين الذين حكموها ١٧٠ سنة [٣]. بعد ذلك سيطر عليها العثمانيون كجزء من الوطن العربي. وخلال الإنتداب الفرنسي على سورية، أعطى الفرنسيون منطقة أنطاكية وإسكندرونة للأتراك ودعيت بولاية هاتاي؛ وهكذا تم سلخها عن الوطن الأم سورية عام ١٩٣٩.

من الشخصيات التاريخية التي زارت أنطاكية، كليوباترا، حيث لاقت أنطونيو عندما وصلت مراكبها إلى



الصورة ٣: المشلح.

مكانة أنطاكية الهامة على طريق الحرير:

الإتجاه الرئيسي بالنسبة لنا في طريق الحرير هو المحور الذي يمر في البر في سورية حيث تشكل مفترق الطرق التجارية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. ففيها دمشق، المنفذ الرئيسي إلى بلاد الحجاز ومصر، ثم أنطاكية وإسكندرونة التي تسلم بضائع آسيا إلى مراكب البحر المتوسط لنقلها إلى جنوة والبندقية. وفيها تدمر أيضاً التي تتجه بأبوابها الشرقية إلى بلاد الرافدين. ويعود تاريخ طريق الحرير إلى القرن الثاني قبل الميلاد وقد استخدم نحو ألف سنة حتى القرن الثامن الميلادي.

مصب العاصي في القرن الثاني قبل الميلاد. وزارها أيضاً الملك فيليب العربي عام ٢٤٤م(٤). كما دخلت زنوبيا ملكة تدمر في القرن الثالث الميلادي أنطاكية لملاقاة أورليانوس فيها.

وحارب أبو عبيدة بن الجراح البيزنطيين على مشارف أنطاكية وحاصرها بعد ذلك ثم صالحهم على الجزية. كان لأنطاكية في عهد السلوقيين شوارع مرصوفة أهمها الشارع الرئيسي الذي كان يخترق المدينة من الشرق إلى الغرب، تزينه من الجانبين أروقة قائمة على أعمدة من الرخام. وفي سفح جبل الصليب تقوم مغارة القديس بطرس الرسول وهي أقدم كنيسة مسيحية في العالم. فيها بشر الرسولان بطرس وبولس بتعاليم الدين الجديد. وقد قام بطرس الرسول على رعاية الكنيسة الأنطاكية ٨ سنوات حتى العام ٤٤م. وغادرها لإتمام رسالة التبشير بعد أن أقام تلميذه أفوديوس رئيساً لهذه الكنيسة التي تسلسل عقد أحبارها بلا انقطاع إلى عهدنا هذا. إلا أن الطوارئ السياسية والزلازل التي كانت تكر على مدينة العاصي دفعت ببطاركتها أن يغادروا مركز كرسيهم الأصلي سنة ١٢٦٨م أيام الملك الظاهر. إلا أن الكرسي البطريركي بقي لأنطاكية، وظل بطريرك سورية لطوائف المسيحية كلها يحمل لقب بطريرك أنطاكية وسائر المشرق(٥).

إنتشار الحرير في أنطاكية:

أما صناعة الحرير فقد إنتقلت إلى الشرق الأوسط من الصين في القرن السادس الميلادي. وقد شجع العرب تربية دودة القز وزراعة أشجار التوت وسنوا القوانين لحمايتها، كما ساهموا في إدخال صناعة الحرير إلى أوروبة عن طريق الأندلس.

وفي زمن الدولة المعنية في القرن السابع عشر انتشر دود الحرير بكثرة في لبنان ومنطقة الجبال الغربية الساحلية السورية والمنطقة الممتدة على ضفاف نهر العاصي، حتى أنطاكية.

كانت صناعة الحرير اليدوية في هذه المناطق وحتى نهاية القرن التاسع عشر تلبي الحاجات الأساسية للمجتمع؛ إلا أنّ الزيّ الأوربي بدأ يغزو مجتمعاتنا، فانحسر اللباس التقليدي. وقد أثر دخول الآلة سلباً على الصناعة التقليدية بشكل عام. وساهم الإنتداب الفرنسي في التأثير على تراجع صناعة الحرير الطبيعي، حيث أنه أدخل الحرير الصناعي الأرخص ثمناً إلى سورية في الثلاثينات.

كما أن الفلاح في مختلف مناطق سورية وأنطاكية واسكندرونة بدأ بتقطيع أشجار التوت بسبب تعرض دودة الحرير لأمراض كثيرة واستبدلت أشجار التوت بالحمضيات والتفاح والزيتون والقطن.

اشتهرت أنطاكية وإسكندرونة بتصدير الشرانق إلى فرنسة، وبصناعة الحرائر الناعمة والمناديل الحريرية. كما اشتهر الأرمن في جبل موسى في الأمانوس بالحرائر المطرزة باليد(٦).

يعتبر الحرير الطبيعي الناتج من دودة القز أفضل الألياف الحيوانية وأغلاها ثمناً وأحسنها استعمالاً. وهي خيوط تفرزها دودة القز من فمها.

تربى دودة القز في سورية وأنطاكية الآن في موسمين:

الأول ربيعي والثاني خريفي. أما المناطق التي تربي دودة القز في بلادنا، فهي قرى سلسلة الجبال الغربية والمحاذية لنهر العاصي.

وفي لواء إسكندرونة تربى دودة القز الآن في قرى أنطاكية وإسكندرونة، منها قرية الحربية ومنطقة السويدية.

مراحل تربية دودة القز:

التربية في الموسم الخريفي أقصر مدة بقليل من التربية في الموسم الربيعي وذلك لأن الحرارة أعلى في شهر أيلول، مما يساعد الدودة على النمو بشكل أسرع.

يشتري المربي البيوض في منتصف آذار تقريباً، وكل علبة فيها ١١,٧غ من بيوض دودة الحرير. توضع في أكياس من الصوف من أجل زيادة حرارتها. بعد أسبوع تفقس هذه البيوض (البذور). فيضع المربي ورق التوت المفروم بشكل ناعم أمام الدود من أجل أن يتغذى عليه وذلك ضمن ما يسمى بالكرينات (وهي عبارة عن وعاء دائري كبير ذي حواف ومصنوع من روث البقر الناشف، أو عبارة عن أوعية خشبية مستطيلة الشكل وذات حواف أيضاً). ويجب أن تكون نظيفة جداً، كالغرفة التي يُربّى فيها الدود فهي نظيفة جداً ومعقمة ومطروشة بالكلس الأبيض. ويجب أن تكون درجة الحرارة بين ٢٢ و٢٤ درجة مئوية وألا تزيد الرطوبة عن ٦٥٪.

- دورة حياة دودة الحرير نظرياً تمر بالمراحل التالية:

مرحلة البيض:	مرحلة التفقيس	من ٧ إلى ١٠ أيام
مرحلة اليرقة:	مرحلة الأكل والتطور	من ٢٥ إلى ٣٠ يوماً
	مرحلة التشرنق	من ٣ إلى ٤ أيام
مرحلة الفراشة:	مرحلة التحول داخل الشرنقة	من ١٠ إلى ١٤ يوماً
مرحلة الرشد والكمال:	مرحلة الخروج من الشرنقة	من ٣ إلى ٥ أيام
	ثم التزاوج فالإباضة ثم الموت	
دورة الحياة الكاملة		من ٤٨ إلى ٦٣ يوماً

إستحصال بيوض دودة القز:

في أنطاكية، كان هناك في بدايات هذا القرن دراسة تسمى دراسة إستحصال البيوض أو البذور وقد قام السيد بطرس حنا عوض بهذه الدراسة عام ١٩١٤. كما درست ابنتاه إيلين وكاترين وحصلتا على شهادة لاستحصال البيوض وذلك بعد ٦ أشهر من الدراسة المتواصلة، أشرف عليهما أستاذ متخصص من بورصة وحصلتا على شهادتيهما عام ١٩٤٦.

وقد قابلت السيدة إيلين في منزلها في أنطاكية في تموز ١٩٩٢ وحدثتني عن طريقة إستحصال البيوض التي كان يقوم بها والدها والتي انقرضت في أنطاكية بعد وفاة والدها بقليل، حيث أنه كان الوحيد في أنطاكية الذي يقوم بهذا العمل الدقيق.

تبدأ عملية إستحصال البيوض بشراء الشرانق من المزارعين بعد أن يكون المستحصل قد راقب الدود وعملية التشرنق مراقبة جيدة عند المربين. ثم يتم أخذ الشرنقة وقطعها وإخراج الحشرة منها، ثم سحقها بالهاون ووضعها على الشرائح لفحصها تحت المجهر لكشف سلامتها من الأمراض: مثل مرض (الأرجل السوداء) وهو مرض سار، ومرض (الكلسة) وهو يمنع الحشرة من أن تصبح فراشة. وعند وجود مرض ما في تلك الدودة، لا تؤخذ تلك الشرانق وتهمل مباشرة. أما إذا كانت الشرانق سليمة، فيشتري المستحصل كمية كبيرة منها وبثمن مرتفع.

تتم عمليات التزاوج بين فراشات الذكور والإناث ثم الإباضة فالموت تحت مراقبة مستمرة. ويعاد فحص الإناث الميتة تحت المجهر للتأكد من خلوها من الأمراض وبالتالي خلو البيوض من الأمراض وذلك في أول شهر آب.

يتم وزن تلك البيوض المستحصلة بواسطة ميزان حساس جداً. (أونصة من البيوض = ٢٥غ).

ثم يتم وضع كل أونصة في كيس شاش ويوضع كل كيس في علبة قياس ١٠X١٠سم من الكرتون فيها عدة ثقوب للتهوية من الأسفل والأعلى.

يكتب على غطاء العلبة رمز أو ماركة الشخص الذي قام باستحصال البيض: اسمه وعدد الغرامات (عادة كل علبة فيها ٢٥غ) ونوع الشرانق (هل هي بيضاء أم صفراء) بالإضافة إلى طريقة الإستحصال.

كان رمز السيد بطرس حنا عوض هو الديك بالإضافة إلى ثلاثة حروف باللاتينية تمثل اسمه الثلاثي:

عوض A   حنا H   بطرس B

يتم وضع العلب في خزانة بدرجة حرارة ٢ إلى ٤ مئوية لكي تقضي فترة الشتاء هناك حتى شهر آذار، حيث يبدأ الربيع وتبدأ أوراق التوت بالظهور على أشجارها، فتخرج العلب من المشتى لتعرض للبيع. يشتريها التجار ويعطونها للمربين.

وتبدأ دورة حياة دودة الحرير.

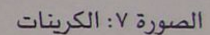
العملية البدائية في حل خيوط الحرير من الشرانق:

بعد قطاف الشرانق، لا بد أن تجري عليها عمليات حل خيوط الحرير وتحضيرها على شكل شلل.



الصورة ٦: التشرنق

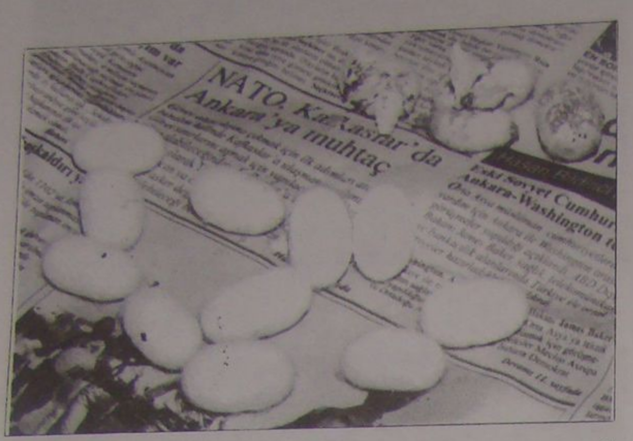
سأشرح العملية البدائية في أنطاكية، وكافة المناطق التي تربي دودة القز على الساحل السوري.



الصورة ٧: الكرينات



بادئ ذي بدء، يتم تجفيف الشرانق أو ما يسمى بعملية الخنق وذلك لقتل الحشرة داخل الشرنقة. تعرّض الشرانق إلى بخار ماء يغلي لعدة ساعات تتراوح بين ٥ إلى ١٠ ساعات.

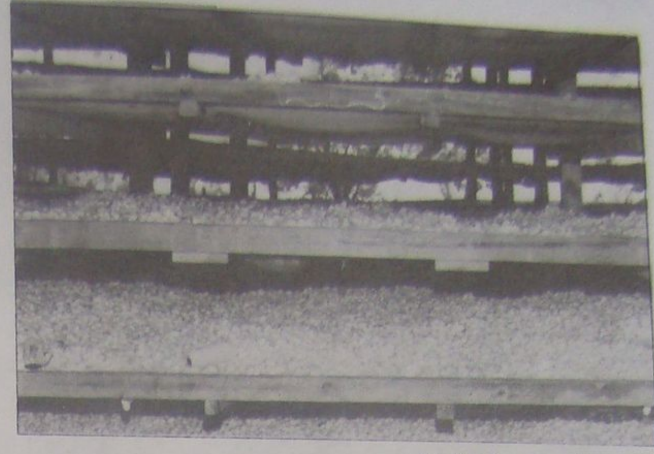


الصورة ٨: الشرانق والفراشة

انتشرت في الساحل السوري وحتى أنطاكية عدة مخانق أو ورشات لتجفيف الشرانق بهدف قتل الحشرة داخل الشرنقة. بالنسبة لمدينة أنطاكية كانت المخانق كلها تتجمع في السويدية، وكان هناك عدة مخانق لآل خوري وعكر وورد وصراف وهم كلهم آغاوات[٧]. وقد تم تأسيس هذه المخانق في نهاية القرن التاسع عشر؛ حيث كان التوت متواجداً بكثرة في هذه المنطقة، فنشطت تربية دودة الحرير في ذلك الوقت. كانت الشرانق توضع في جوارير خشبية ضمن بيوت خاصة ومحاطة من أسفلها بالخيش وهذه الجوارير متوضعة فوق بعضها البعض (من ١٠ إلى ١٥ جاروراً فوق بعضها البعض)، وتغلق عليها الأبواب الخشبية المحاطة باللباد. وتحت تلك البيوت يوضع (دست) أو وعاء كبير في ماء وتحته نار قوية حتى تصل الماء إلى درجة الغليان فيصعد منها البخار إلى تلك الجوارير وتستمر هذه العملية عدة ساعات. طول كل بيت ٥٠م وعرضه حوالي ٣ أمتار[٨].

بعد انتهاء عملية الخنق يتم تحريك الشرانق وتقليبها بواسطة عصا طويلة صباحاً ومساءً.

تنقل الشرانق وتوضع تحت خيمة كبيرة، وتجلس النساء أرضاً لفرز الشرانق الجيدة من غير الجيدة. ثم توضع الشرانق الصالحة ضمن شوالات للتسويق والتصدير إلى فرنسا. أما الشرانق غير الجيدة فتحل بالطريقة البدائية.



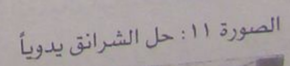
الصورة ٩: بعد عملية الخنق



الصورة ١٠: فرز الشرانق

في الخمسينات باع معظم أصحاب المخانق مخانقهم كخشب وخردة ..[٩]

توضع الشرانق في حوض كبير يحوي ماء مغلية، ويقوم الرجل الذي يحل هذه الشرانق بضربها بواسطة عصا طويلة. وعندها تبدأ أطراف الخيوط بالظهور، لتمر عبر فرضة ثم إلى بكرة متصلة بدولاب خشبي يعمل على تدويره صبي صغير أو فتاة أو سيدة. ولهذا الدولاب ٤ بكرات وبالتالي يمكن لف ٤ شلل عليه.



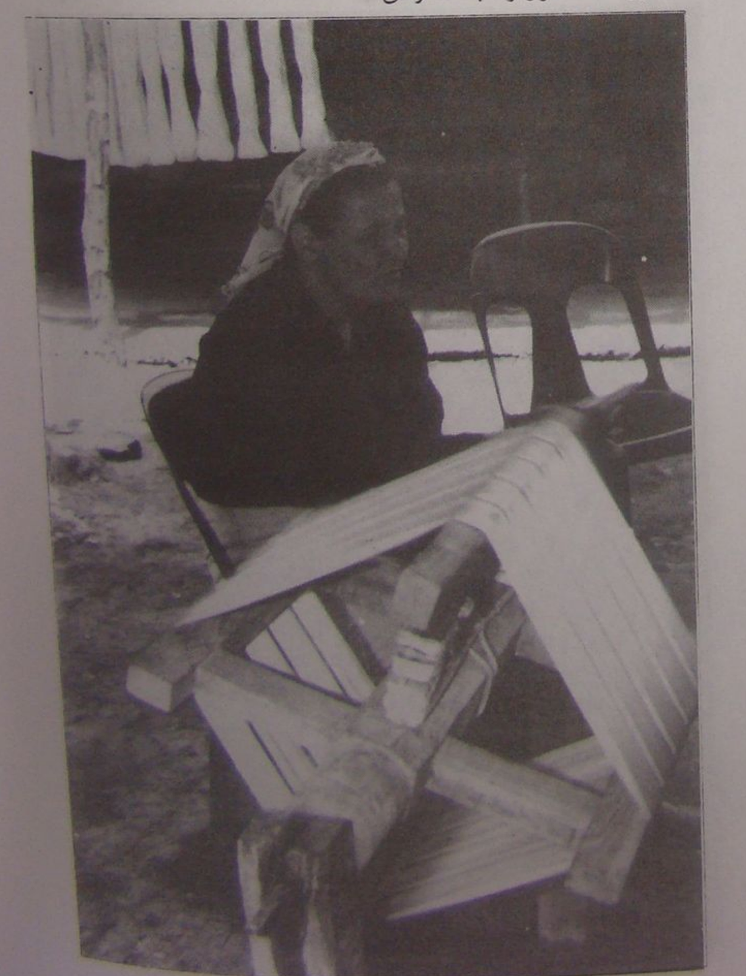
الصورة ١١: حل الشرانق يدوياً





الصورة ١٣: غزل زغب الشرانق

الصورة ١٢: تدوير الشللل على الدولاب



تؤخذ أطراف الخيوط بالعصا من ٤٥ إلى ٦٠ شرنقة تقريباً.



الصورة ١٤: شلل الحرير الخام



الصورة ١٥: تلخيص لكل العمليات السابقة (شرانق - زغب - غزل - خيوط - نسيج)

صناعة الحرير الحالية في أنطاكية:

اشتهر الأرمن القاطنون في أنطاكية بصناعة النسيج اليدوي على الأنوال، وبالأخص صناعة الحرير.

الصورة ١٦: المنسوجات الحريرية المصنوعة في انطاكية



في بدايات هذا القرن، جاء الشيخ سلمان ابراهيم بدر بنول يدوي عربي ذي ٤ مداويس من حلب، ثم أخذ النجاران الأنطاكيان عبده دويكية وشعبان بن عبود تشنوك يصنعان منه، فانتشر في أنطاكية. ثم تم صنع أنوال ٦ مداويس و٨ مداويس.



الصورة ١٧: لف الشلل على مواسير الطيّار.

وفي بداية الثلاثينات أخذ كل من حنا عيرنجي وأديب عاشق صنعة الحرير من الأرمن وأسسا العمل في السويدية، ولهذا كانت شهرة الحرير للسويدية. تعلّم لدى حنا عيرنجي كل من سليمان أو سلو وصالح أو سلو ومحمد غريب (أرات) وشريف غريب (أرات) وهما ولدا شحود غريب (أرات).

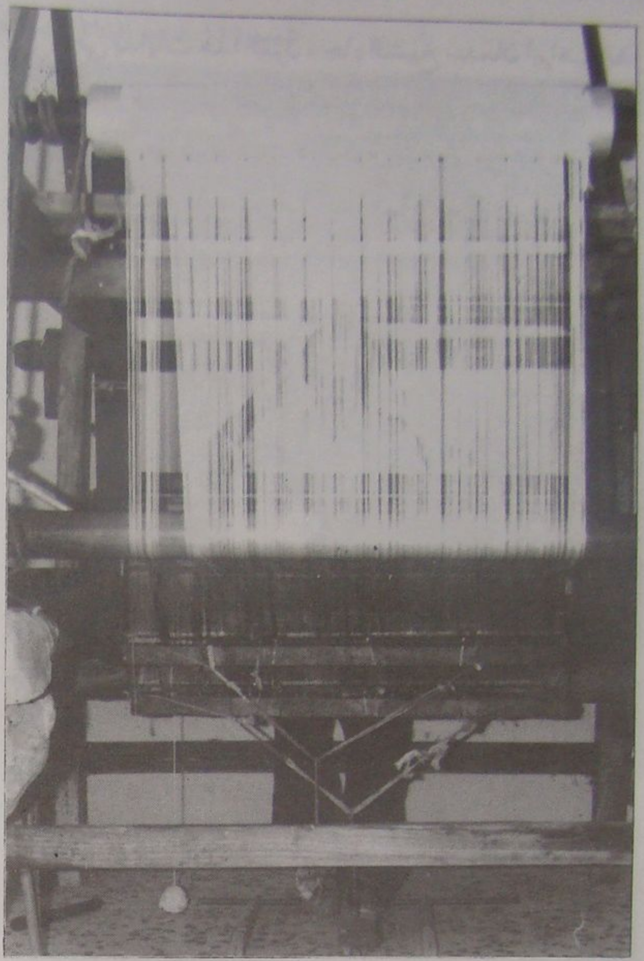
بين عامي ١٩٣٢ و١٩٤٥ كان في أنطاكية حوالي ٢٥٠ شخصاً يعملون في حل الحرير بالطريقة البدائية، وكانوا يبيعون خيوط الحرير لحلب. ومنهم ذهب ٤ صناع لحل الحرير من الحربية إلى دارة عزة قرب حلب.

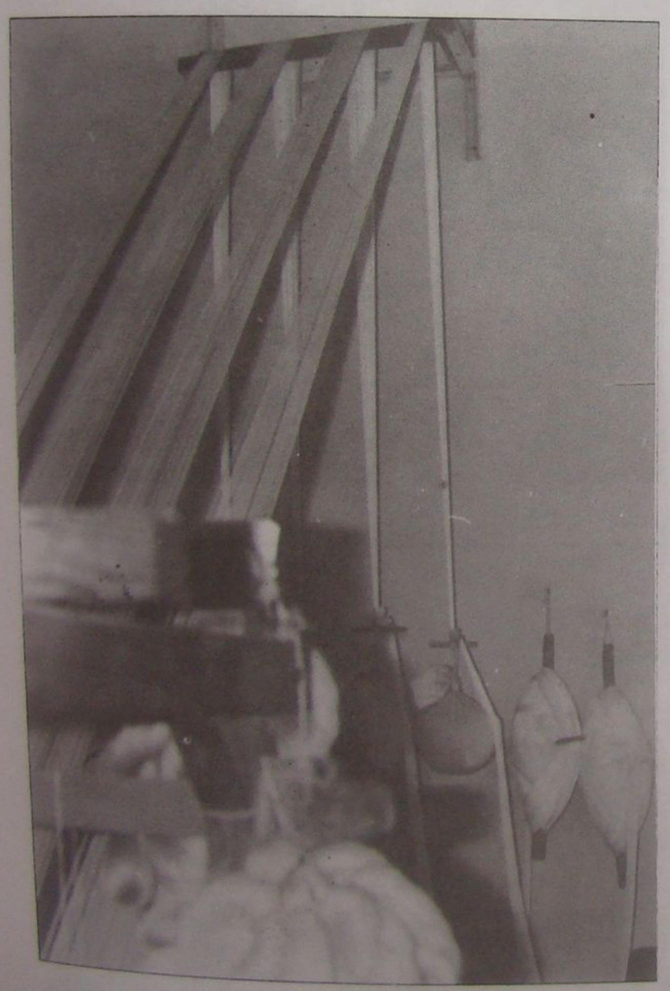
تنتشر الأنوال اليدوية والآلية في قرى أنطاكية، ويقال فيما مضى بأن أصوات الأنوال كانت تسمع في قرية الحربية عبر المنطقة كلها عند هدوء الريح، وذلك لكثرة الذين كانوا يعملون في حياكة الحرير على النول اليدوي[١٠]. في قرى أنطاكية، تصنع عدة أنسجة من الحرير الطبيعي ولا يقوم الصناع بصباغتها بالألوان، وإنما تبقى على لونها الأصلي وهو الأبيض السكري.

الصورة ١٨: نول يدوي ذو مدواسين



الصورة ٢٠: الحياكة على النول اليدوي.





الصورة ٢١: شد خيوط السدى بواسطة أثقال

الصورة ١٩: نول ذو ٤ مداويس



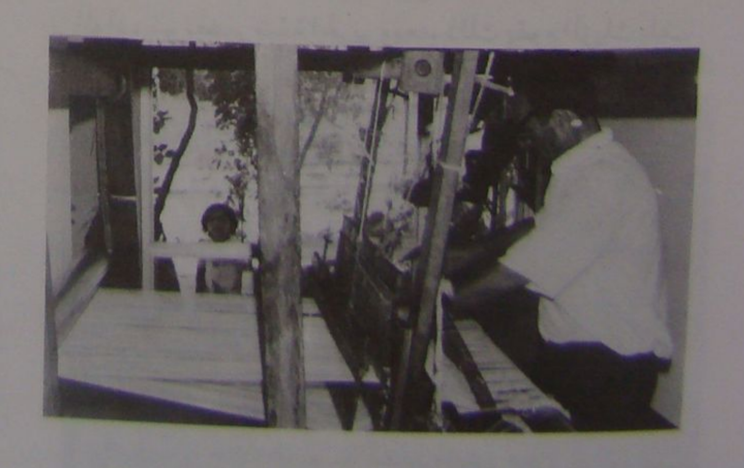
أما الأقمشة الحريرية التي تصنع اليوم وفي أنطاكية فهي عبارة عن أقمشة ثخينة تصلح لصنع (بدلات) للرجال والسيدات، وهناك أقمشة ناعمة ورقيقة تصلح للقمصان. تصنع القمصان الحريرية في أنطاكية من سدى ولحمة من

الخيوط الحريرية المحلولة عن ٤٠ شرنقة. كما يصنع نوعان من البزات، الأولى ثخينة محلولة عن ٦٠ أو ٨٠ شرنقة ومغزولة على المغزل في السدى واللحمة. والثانية لحمتها مغزولة وسداها من الحرير المحلول غير المغزول[١١].

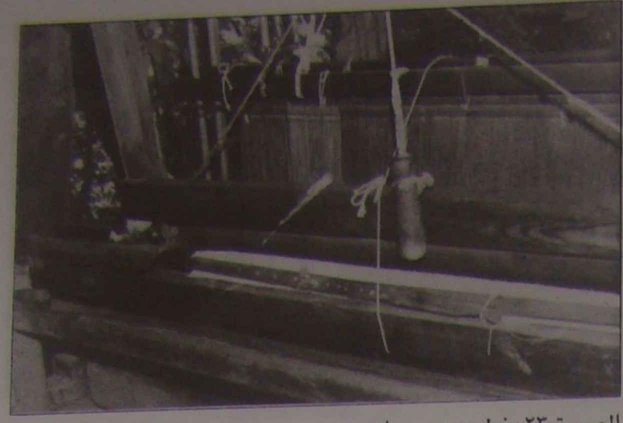
تغلى الشرانق غير الجيدة بالماء والصابون ويضاف إليها ماء منقوع فيه في اليوم السابق رماد الخشب المحروق (الصفوة)، إذ أن محلول الرماد يفيد الحرير في إضفاء الرونق على لونه الأصلي. بعد ذلك يجفف الحرير كما هو، تؤخذ أوباره وتجمع لتغزله السيدات على المغزل اليدوي ثم يؤخذ خيط المغزل ويلف على الطيار ليصبح على شكل شلة حريرية مغزولة ويوصل الطيار بالدولاب الخشبي حيث تكر هذه الشلة على مواسير. وقبل أن تكر على مواسير تغسل الشلل بالصابون والماء لتطريتها. وتوضع المواسير في المكاكيك (المكوك) لتستخدم كخيوط للحمة.

وتبدأ الحياكة على نول ذي ٤ مداويس. عدد خيوط السدى لحياكة القمصان الحريرية ٥٨٠٠ خيط. عدد الغرامات في ١٠٠ سم، ١٢٦غ. عدد خيوط السدى لحياكة البزات الحريرية ذات الخيط المغزول ١٨٠٠خيط. عرض القماش ٨٠سم.

في اليوم الواحد يمكن للعامل الذي يعمل على النول اليدوي أن يحيك متراً ونصف المتر أو مترين على الأكثر. وفي أثناء الحياكة يقوم عامل النول بتطرية خيوط السدى وذلك بترطيبها بالماء.



الصورة ٢٢: الحياكة على النول اليدوي.



الصورة ٢٣: نول يدوي جرار

بعد انتهاء ثوب القماش من الحياكة، يوضع هذا القماش ليغلي في الماء والصابون ومحلول الرماد لمدة ساعة وربع في وعاء كبير، فيساعد ذلك على تطرية القماش ويجب تغطيس القماش بواسطة عصا في الماء. ويقوم أحد العمال بكي القماش عندما يكون رطباً وذلك بالمكواة اليدوية العادية[١٢].

وإلى الآن تصنع في أنطاكية ملاءات للأسرة عريضة (٤,٥م) مخططة بخيوط عريضة حريرية مغزولة وقطنية مغزولة أيضاً.

أسماء أقسام النول العربي اليدوي ذي المداويس:

المسداية: (أسطوانة خشبية في الأعلى يشد عليها السدى).

المعبر: (أسطوانة خشبية تحتها تماماً يشد عليها السدى).

المناورة أو المطواية: (أسطوانة خشبية بجانب الحائك تفيد في لف القماش المحاك).

النير: (وله عدة درعات).

المشط الكبير: (يضرب به الحائك لتجميع خيوط اللحمة على السدى).

الجرار: (حبل معلق يشد لتحريك المكوك).

المكوك: (فيه ماسورة خيط اللحمة).

الأثقال: (التي تشد خيوط السدى).

المداويس: (٢ و٤ و٦ وأكثر من ٨).

المصافير: (تشد الدرعات إلى أعلى وهي موصولة بالمداويس)[١٣].

الصورة ٢٤: آلة الذوي

ينحصر الآن العمل في صناعة الحرير في أيدي عائلتين تقريباً هما عائلة غريب (أرات) : شريف ومحمد . وعائلة عاشق (بويوك عاشق) : أديب - حسن - مسعود - رفيق - سليمان ...

والصنعة في عائلة عاشق متوارثة أباً عن جد في تربية دودة الحرير ثم في حل خيوط الحرير وحتى في صباغة الحرير. يقوم السيد أديب (بويوك) العاشق بصباغة خيوط الحرير في بيته: حيث تبرم الخيوط المحلولة وغير المغزولة آلياً في السويدية على آلة البرم، أو يدوياً على آلة يدوية، ثم يتم تبييض الخيوط (عملية القصارة) : وهي غسل الخيوط بالماء والصابون والصودا. ثم يضيف إليها السيد أديب مواد لتثبيت اللون وهي مادة الشبة أو قشر الرمان ويصبغها بالألوان الأخرى(١٤).



الصورة ٢٥: آلة البرم

مراحل تصنيع خيط الحرير:

١- الفتال: توضع الشلل على آلة الكبابة الكهربائية التي تحول الشلل إلى خيوط على بكرات خشبية وتسمى أيضاً آلة الكر. ثم تؤخذ هذه البكرات، وتوضع على آلة الزوي الكهربائية، وهي تجمع الخيوط من بكرتين أو أكثر على بكرة واحدة وتسمى المزواية. أي أن الخيط بعد عملية الزوي يصبح مثنى أو ثلاثياً أو رباعياً ... الخ.

ثم توضع هذه البكرات المزوية على آلة البرم أو الفتل، حيث تفتل هذه الخيوط الثنائية أو الثلاثية على بعضها البعض لتصبح على هيئة خيط واحد مبروم وقوي مما يمتن خيط الحرير.

تبرم عادة خيوط السدى حوالي ٤٠٠ أو ٥٠٠ برمة. أما خيوط الحدف أو اللحمة فتبرم أقل من ٢٥٠ برمة(١٥).

٢- المسدي: وهو الشخص المسؤول عن تحضير السدى أي الخيوط الطولانية للقماش. وبعد ذلك يرسلها إلى القصار الذي يقوم بعملية القصارة، والقصارة هي عبارة عن معالجة الحرير الخام بوضعه بحوض ماء يغلي مضاف إليه صابون ومادة الصودا (كربونات) ؛ ويبقى الحرير في هذا الحوض لمدة ساعتين أو أكثر ثم يغسل بماء عادي ويعصر. وتصبح بعد ذلك شلل الحرير أكثر بياضاً ولمعاناً، حيث تزول عنها المادة الصمغية؛ وينقص وزن الحرير الطبيعي بعد هذه العملية حوالي ٢٥٪ من وزنه الأصلي.

٣- المزيِّك: يأخذ شقة الحرير الطبيعي التي ستصبح خيوطاً للسدى من القصّار ويقوم بتغطيسها بالنشاء المحلول في الماء والمضاف إليه الصمغ المأخوذ من أشجار اللوزيات؛ تستمر عملية التغطيس حوالي ٥ دقائق فقط في هذه المواد، ثم تعصر شقة الحرير وبعد ذلك يقوم المزيك بلف الشقة على الملف الخشبي على شكل كرة متطاولة.

في الصباح الباكر، أي في الثالثة صباحاً، يذهب المزيك بصحبة كراته الحريرية إلى منطقة بعيدة عن العمار المدني وفيها جدار طويل. يغرس في هذا الجدار أخشاباً تسمى تعاليق، وذلك بشكل يتعامد مع الجدار، وتلك التعاليق لها بروزات خشبية أيضاً تشبه الأسنان. ثم يبدأ المزيك بنشر الشقة على طول الجدار، أي بطول حوالي ٦٠ متراً. ويكرر هذه العملية ذهاباً وإياباً حتى ينشر كل الخيوط الملفوفة على الملف. ثم يبدأ ما نسميه عملية

البز وهي إبعاد الخيوط بعضها عن بعض بأصابعه، كي لا تلتصق ببعضها نتيجة عملية التغطيس أو التخشين.

يجب بدء عملية البز قبل شروق الشمس لأن حرارة الشمس تجعل الخيوط تلتصق ببعضها البعض.

تفيد عملية التغطيس أو التخشين في تقوية خيوط السدى وتمتينها، حيث أنها تتحمل ضربات المشط عليها عند تركيبها على النول. أما خيوط الحدف أو اللحمة فلا تحتاج لتخشين لأنها محمية في المكوك. بعد الجفاف التام، وانتهاء عملية البز، يعود المزيك فيلف خيوط السدى على الملف ويعود بها إلى المنزل.

٤ـ الملقي: كلمة تعني تشابك خيوط السدى مع النير، والملقي هو الذي يدخل خيوط السدى ضمن النير أو النيارة. وتعتمد هذه العملية على حسابات دقيقة جداً يراعى فيها عرض القماش وعدد خيوط السدى فيه.

ثم يبدأ دور عامل النول لحياكة قماش الحرير.

الرسم على الحرير:

في إسكندرونة، لم يبق أي أثر لصناعة الحرير، عدا الرسم اليدوي على الحرير الطبيعي وهناك مشغل للسيدة زينب باقي، وهي تعمل في الرسم اليدوي على الحرير وفي صباغة الحرير منذ ١٠ سنوات.

أما المواد الأولية، فهي أقمشة الحرير الطبيعي المحاكة في السويدية (أنطاكية) أو في اصطنبول وبورصة.

الصورة ٢٦: الرسم على الحرير



يتم في مشغل السيدة زينب باقي الرسم على مناديل وفساتين وأغطية ووسائد وملاءات للأسرة ولوحات للأطفال وربطات عنق وكلها من الحرير الصافي. أما ربطات العنق، فتتم صباغتها بالتغطيس بالألوان وليس بالرسم عليها بالفرشاة.

تسوّق السيدة زينب منتجاتها داخل تركية فقط، وهي في خطتها القادمة تنوي التصدير إلى أوروبة.

أهمية زراعة التوت في هذه المنطقة:

يعيش شجر التوت عادة بين خطي عرض ٣٠ و٤٢ ولذلك فبلادنا ملائمة لزراعته تماماً. وقد كانت زراعة التوت كثيفة في سلسلة الجبال الغربية السورية بشكل خاص وحتى أنطاكية وإسكندرونة. وزراعة التوت في بلادنا قديمة قدم التاريخ.

وأفضل شجرة لتغذية دودة الحرير هي شجرة التوت الذكر أو التي تحمل التوت الأبيض. ومن ميزات شجرة التوت أنها تعيش بعلاً ومروية، ويمكن فلاحتها مرة أو مرتين في السنة فقط، وتعيش ٥٠٠ سنة تقريباً.

في الأربعينات بدأت زراعة التفاح والموز في لبنان تطغى على زراعة التوت، فأخذ الفلاح يقطع أشجار التوت القوية والجبارة والمقاومة لكافة العوامل الطبيعية ويغرس بدلاً عنها التفاح، ووصلت عدوى زراعة التفاح إلى سورية وإلى كافة المناطق الغربية من سورية حتى أنطاكية.

وأخذ الفلاح يعتقد من خلال تجربته مع أشجار التوت وتربية دودة الحرير وخسارته فيها أن زراعة التفاح والخضار والحمضيات والقطن تعطي مردوداً أكبر من زراعة أشجار التوت وخاصة بعد هبوط أسعار مواسم الشرانق في الستينات. وهكذا، أصبحت شجرة التوت شيئاً فشيئاً شجرة هامشية تزرع على حدود الحقول وتستخدم للتظلل تحتها، واقتصرت زراعتها فقط على المناطق التي ما زالت تعتني بتربية دودة الحرير.

إلا أن مديرية الزراعة في أنطاكية الآن تحاول أن تعتني بدودة الحرير وبتربيتها وبتشجيع الفلاح على زراعة أشجار التوت بكثافة في تلك المنطقة، ولقد وصل إنتاج الشرانق في أنطاكية عام ١٩٩١ إلى ١٢ طناً؛ بينما كان عام ١٩٨٧ / ٢٥ طناً. وكل ٧كغ شرانق يعطي ١كغ من خيط الحرير الخام.

وأصبح موسم تربية دودة الحرير موسماً مربحاً للفلاح بعد أن كان موسماً فقيراً ومضنياً، حيث أن الدودة كانت تعاني من أمراض شتى. أما الآن فالدودة اليابانية المهجنة تقاوم الأمراض وعوامل الطبيعة ويمكن لموسم واحد وخلال ٤٠ يوماً فقط أن يعطي للفلاح المربي للدودة دخلاً كبيراً. ولذلك يتجه الآن بعض الفلاحين إلى العودة إلى زراعة أشجار التوت وتربية دودة القز من جديد.

وأخيراً تخضع المنتجات الحريرية في أنطاكية لقانون العرض والطلب في السوق المحلية، وهي ملك للقطاع الخاص.

إلا أن الأحداث السياسية العربية والدولية تؤثر على تصريف هذه المنتجات سلباً أو إيجاباً؛ فقد أثرت حرب الخليج سلباً عام ١٩٩١ على تصريف مثل هذه البضائع بشكل خاص وعلى التجارة بشكل عام.

ويتم في أنطاكية تسويق المنتجات الحريرية داخلياً في تركية بالبريد؛ حيث يرسل التاجر بعينات من إنتاجه وأسعار منتجاته إلى الموزعين ثم يرسل إليهم بالبريد ويستلم ثمنها بنفس الطريقة. ولقد تأثرت أسعار الحرير سلباً أيضاً في أنطاكية في أثناء حرب الخليج عام ١٩٩١.

الحواشي:

(١) لقاء مع السيد مسعود العاشق (بويوك عاشق) في قرية يقطو التابعة لأنطاكية في تموز ١٩٩٢. ولقاء مع مرب آخر في السويدية (حزيران ١٩٩٢).

(٢) لقاء مع السيدة جاكلين صراف (صراف غيل) في أنطاكية في تموز ١٩٩٢ صاحب المخنق والدها ويدعى نيقولا صراف وابتدأ عام ١٩٢٩ عمله فعلياً في المخنق الذي أسسه والده عبد الله الصراف عام ١٨٩٠ في السويدية.

(٣) ـ ورد، نخلة ـ حضارة أنطاكية عبر العصور. مطبعة صفدي التجارية، ١٩٥٦.

(٤) Alep et la Syrie du Nord "*in* Revue du Monde Musulman et de la Méditerranée, n. 62 1991-4" Parid: Edisud

(٥) Festugière (A.J.)- Antioche païenne et chrétienne, 1959.

(٦) Jacquot (Paul)- Antioche, centre de tourisme- Antioche; comité de tourisme, 1931 (3 tomes).

(٧) وحديث مع السيد منير الخوري في أنطاكية في تموز ١٩٩٢ في منزله حيث كان والده وعمه صاحبي مخنق آل الخوري في السويدية.

(٨) لقاء مع السيد جان بيلوني في السويدية (أنطاكية) ـ تموز ١٩٩٢.

(٩) لقاء مع السيد حسن (بويوك) عاشق في الحربية (أنطاكية) ـ تاجر وعامل على النول اليدوي ـ تموز ١٩٩٢.

(١٠) لقاء مع السيد رفيق (بويوك) عاشق في الحربية (أنطاكية) ـ تاجر وعامل على النول اليدوي ـ تموز ١٩٩٢.

(١١) لقاء مع السيد حسن (بويوك) عاشق ـ الحربية (أنطاكية) ـ تموز ١٩٩٢ (أخذ الصنعة عن والده علي عاشق وعن جده ابراهيم عاشق).

(١٢) لقاء مع السيدة أمينة العاشق، يقطو (أنطاكية) ـ تموز ١٩٩٢ (لها حوالي ٣٠ سنة وهي تغزل الحرير) وهي في الأصل من قرية تدعى عين جاموس.

(١٣) لقاء مع السيد سليمان العاشق، يقطو (أنطاكية) ـ يعمل على النول اليدوي ذي ٤ مداويس منذ ٥٥ سنة ويصنع قماش البزات الحريرية ـ تموز ١٩٩٢.

(١٤) لقاء مع السيد أديب العاشق في يقطو (أنطاكية) ـ تموز ١٩٩٢.

(١٥) لقاء مع السيدين شريف ومحمد غريب (أرات) في السويدية (أنطاكية) ـ حزيران ١٩٩٢ وتموز ١٩٩٢.